

المحاضرة الأولى: مدخل عام إلى مقياس علم النفس الإجرام

إن جرائم القتل والسرقة بالإكراه، الإحراق العمدي للممتلكات، الاحتيال، العنف الأسري، إساءة معاملة الأطفال، الابتزاز، الاغتصاب، الجرائم الالكترونية وغيرها من الجرائم باتت الشغل الشاغل لمجتمعات العصر الحالي، هذا رغم أن السلوك الإجرامي مرتبط بوجود الإنسان على هذه البسيطة فقد قص القرآن الكريم قصة أول عملية قتل على وجه الأرض (قصة قابيل وهابيل) وحد حدودا لبعض الجرائم الأخرى. هذا فضلا عن الصلة الوثيقة بين كل من الاقتصاد والسياسة والدراسات الاجتماعية والقانونية وعلم الاجتماع من ناحية ودراسة الجريمة والإجرام من ناحية أخرى، وعليه فإن صميم الجرائم كلها تتمحور حول أفعال البشر.

واهتمام علم النفس بالجريمة والقانون مرده إلى محاولاته الدائمة لفهم السلوك وتعديله؛ سواء تعلق الأمر بأولئك الذين تشكل أفعالهم سلوكا إجراميا، أو أولئك الذين يعملون من أجل حل ألغازه، أو يحكمون فيه، أو يسيطرون على مرتكبيه، أو المكفون بمساعدة ضحاياه، حيث توجد في كل مرحلة من مراحل النظام الجنائي عمليات نفسية ينبغي معالجتها. و فهم هذه العمليات وتطبيقاتها يشكل أساس علم النفس الإجرامي أو الجنائي.

1- نشأة علم النفس الجنائي وتطوره:

الجريمة كانت ولازالت الشغل الشاغل للمجتمعات خاصة تلك التي تعتبر أكثر تقدما وتحضرا حيث تسجل معدلات مرتفعة لها، ففي اليوم أ مثلا تسجل أكثر من جريمة خلال أقل من دقيقتين، فضلا عن الخسائر المالية المعتبرة الناجمة عن تكلفة محاربتها،

والاهتمام بالجوانب النفسية للمجرم، وكذلك عجز المؤسسات الاجتماعية في إيجاد الحلول المناسبة للحد من السلوك الإجرامي ، وكذلك شكوى المجتمعات من تكاثر وتطور الجريمة في المجتمع وفشل مؤسسات التربية والتعليم بمختلف أنواعها في بعض الدول عن احتواء المراهقين وتعديل سلوكهم، وآراء بعض علماء النفس والتربية المتمحورة حول البحث والتقصي في مثل هذه القضايا التي أرهقت كاهل الشعوب والأمن في كثير من دول العالم... وغيرها كل ذلك أدى إلى نشأة هذا العلم.

أما عن تطور علم النفس الجنائي فقد مر بمراحل تاريخية كثيرة ترجع في بدايتها لأراء الفلاسفة اليونانية عن المجرمين على غرار وصفهم من طرف كل من ايبوقراط، سقراط، أفلاطون و أرسطو بأنهم ذوي نفوس فاسدة أساسها عيوب خلقية وبدنية كامنة، وفي القرون الوسطى ظهر اتجاه فلسفي آخر يرمي إلى التعرف على طبيعة النفوس من خلال الملامح الجسدية، وفي مرحلة تالية سادت نظرية خرافية تربط بين تكوين النفس ذات الميول الإجرامية وبين الكواكب، ومع بداية النصف الأخير للقرن السادس عشر وجد الفلاسفة الطبيعيون النظرية الجزائية، وعلى رأسهم (ديلابورتا) و(دولاشمبر) و(داروين) منتجين المنظور الفكري والمادي الذي يبحث في الاستدلال على طبيعة النفس ونوازعها من خلال العيوب الخلقية الظاهرة.(يوسف حلمي، جرائم ومرافعات) ويمكن تلخيص أهم المحطات التاريخية في شكل دراسات ومنتجات علمية التي شكلت إرهاصات لظهور هذا العلم فيمايلي:

- 1872-1897: تطور نظرية الرجل المجرم من النسخة الأولى حتى

النسخة الخامسة للطبيب الإيطالي الشهير وعالم الجريمة سيزار

لمبروزو Cesare Lombroso

- **1893** : إجراء أول تجربة نفسية في علم نفس الشهادة من قبل جيمس ماكين كاتل Cattel من جامعة كولومبيا.
- **1896** : قام أحد المختصين في علم النفس وهو نوتزنج Notzing بدراسة لقضية قتل في ألمانيا صاحب التحقيق فيها ضجة إعلامية حيث لاحظ تأثير ذلك على شهادة الشهود الذين أصبحوا يخلطون بين ما شاهدوه وما تروجه الصحف وبالتالي تأثير عملية الإيحاء على تذكر الحادثة الجنائية والشهادة.
- **1900** : قام العالم الفرنسي ألفرد بينيه Binet بإجراء دراسات عن الكفاءة في الشهادة القضائية.
- **1901** : أجرى العالم الألماني وليام شترن Stern تجربة استنتج من خلالها تأثير الانفعالات الشديدة على كفاءة الاسترجاع والتذكر.
- **1903** : توج اهتمام شترن بالجوانب النفسية في الشهادة القضائية بإصدار دورية علمية بعنوان علم النفس والشهادة القضائية. contributions to the psychology of testimony
- **1905** : ظهر اسم بينيه Binet من جديد بنشره كتيباً عن دراسات في علم النفس القضائي.
- **1908** : أصدر هيغو منستيربيرغ Munsterberg أستاذ علم النفس من هارفارد كتاب بعنوان على منصة الشهادة " on the witness stand " انطوى على مشاهداته لما يجري في المحكمة من مداخلات تدين أو تبرئ المتهمين (وكان للإدراك والانتباه والتذكر دور كبير في فهم الجوانب النفسية للشهادة القضائية) ويعتبر بمثابة مؤسس علم النفس الجنائي.

- **1909**: قام أحد علماء النفس فرنال (Fernald) بالتعاون مع أحد الأطباء النفسانيين هيلي (Healy) في أمريكا بإنشاء أول عيادة نفسية متخصصة في إرشاد الأحداث الجانحين تحت أسم مؤسسة الأحداث السيكوباتيين مهمتها تقديم الاستشارات والتشخيصات الإكلينيكية لمشكلات الأحداث دون علاج .
- **1911**: كان جي فارندونك J.VARENDONCK من أوائل الأخصائيين النفسانيين الذين شهدوا في محاكمة جنائية عقدت في بلجيكا حيث فحص شهادة أطفال شهدوا في القضية.
- **1913**: أول مرة تقدم الخدمات النفسية ضمن المؤسسات الإصلاحية الأمريكية (إصلاحية للنساء في ولاية نيويورك)
- **1914**: منستربرج Munsterberg نشر مقال بعنوان (الجوانب النفسية عند المحلفين) أكد فيه على ضرورة استبعاد النساء من هيئة المحلفين، وذلك على أساس أن المرأة أقل كفاءة في دقة الأحكام واتخاذ القرارات .
- **1916**: أنشأ المختبر السيكوباتي ملحقاً بقسم الشرطة في مدينة نيويورك وذلك لإجراء اختبارات نفسية على السجناء ضم الأخصائيين النفسانيين والاجتماعيين. وفي هذه السنة كان أول تطبيق للاختبارات النفسية على المتقدمين لكلية الشرطة من طرف لويس تيرمان L. terman
- **1917**: طور وليام مارستون تلميذ منستربرج أول جهاز حديث لكشف الكذب.
- **1918**: أول نظام تصنيف للسجناء وضع من قبل علماء النفس، الذي انشأ من قبل إدارة الإصلاحات بولاية نيو جيرسي والتي

- أصبحت أول ولاية توظف أخصائي علم النفس بدوام كامل وبراتب منتظم.
- **1921**: أول مرة يشهد أخصائي نفساني أمريكي في قاعة محكمة كشاهد خبير.
- **1922**: قام لويس ثيرستون Thurston بتطبيق اختبار ألفا للذكاء اللفظي للمتقدمين لوظائف الشرطة في مدينة دترويت، وشهدت هذه السنة أول شهادة لأخصائي نفساني يشهد في محاكمة مدنية وهو كارل ماري أستاذ علم النفس في جامعة ويرزبيرغ بألمانيا، وفي نفس السنة حصل وليام مارتسون Marston وهو أخصائي نفساني محامي على تعيين في كلية علم النفس الجنائي كأستاذ في علم النفس القانوني في جامعة أمريكية حيث أنجز أول بحث تطبيقي على نظام هيئة المحلفين.
- **1931**: نشر كتاب legal psychology لهوارد بيرت H. Burret كأول كتاب في المجال الجنائي يكتب من قبل أخصائي نفساني.
- **1939**: ظهر اسم شترن من جديد في دراسته عن أخطاء عملية التذكر عند الأطفال والكبار وأنها قد تعود لأساليب الاستجواب الإيحائي لهيئتي الدفاع أو الاتهام.
- **1945**: وضع دي توليدو نظرية تعد أساس الدراسات النفسية الجنائية وهي نظرية التكوين الإجرامي أو الاستعداد السابق في النفس البشرية والتي انتهى فيها إلى وجود تفاعل نفسي داخلي لدى الإنسان، هذا التفاعل يفسر النزعة الإجرامية لدى بني البشر، وأن الجريمة هي وليدة شدوذ غريزي.

- **1961**: أصدر هانز توش tosh كتاباً بعنوان علم النفس الجنائي والقانون Legal and criminal Psychology ويعتبر الكتاب الأول في هذا المجال حيث قام بتأليفه عدد من المتخصصين في علم نفس الجريمة.
- **1964**: استتب هانز جي ايزنيك HJ. Eysenk أول نظرية شاملة وقابلة للاختبار في السلوك الإجرامي مقدمة من قبل أخصائي نفسي ونشرها في كتاب الجريمة والشخصية Crime and Personality.
- **1968**: يصبح مارتن ريزر أول أخصائي نفسي شرطي بدوام كامل في الولايات المتحدة الأمريكية. وتم توظيفه من قبل إدارة شرطة لوس انجلوس، وأصبح له دور فعال في تأسيس علم النفس الشرطي كمهنة.
- **1972**: بتوجيه وقيادة الجمعية الأمريكية لعلم النفس الإصلاحي، وستاينس برودسكاي، وروبرت لونيون، واشرباشت أصبح علم النفس الإصلاحي معروفاً كعمل مهني.
- **1974**: تم تطوير أول برنامج علم نفس قانوني متعدد التخصصات في جامعة نبراسكا_ لنكولن.
- **1978**: توافق جمعية علم النفس الأمريكية على فترة التدريب الإكلينيكي في الإصلاحات لإدارة المؤسسات الإصلاحية. وفي نفس السنة بدأ المجلس الأمريكي لعلم النفس الجنائي بمنح الشهادة المهنية في التخصص.
- **1991**: تنشر الأكاديمية الأمريكية لعلم النفس الجنائي وجمعية علم النفس القانوني الأمريكية مبادئ توجيهية متخصصة لأخصائي هذا العلم.

- 2001: تعترف جمعية علم النفس الأمريكية بعلم النفس الجنائي كتخصص علمي قائم بذاته.
- 2006: توصي لجنة مراجعة المبادئ التوجيهية المتخصصة لعلم النفس الجنائي بالتعريف الأوسع الذي يتضمن البحث كما الممارسة التطبيقية.